الإرهابيون اليهود

من الإرهاب الصهيوني
في فلسطين حتى عام 1948م

عساف شارون

ترجمة وإعداد
منتدى العلاقات العربية والدولية



الإرهابيون اليهود

من الإرهاب الصهيوني

في فلسطين حتى عام 1948م


بسم الله الرحمن الرحيم

تم شراء الحقوق من الناشر

"The Jewish Terrorists" by Assaf Sharon
New York Review of Books, 24 September, 2015, pp. 80-83

عنوان الكتاب: الإرهابيون اليهود
من الإرهاب الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948م
ترجمة وإعداد: منتدى العلاقات العربية والدولية
64 صفحة - 14,5 × 21,5 سم.
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: 2016/93
الرقم الدولي (ردمك): ISBN: 978-9927-103-50-6

الطبعة الأولى 2016.

المحتويات


صفحة فارغة

تقديم

يقـدم منتدى العلاقات العربية والدوليـة هذا الكتيب بهدف التعريف ببعـض جوانب الإرهاب الصهيونيّ في فلسـطين إلى عام النكبة 1948م. النصـف الأول مـن الكتيـب ترجمـة لمقـال بقلم عسـاف شـارون بعنوان الإرهابيـون اليهـود (والـذي احتفظنـا بـه عنوانـا للكتيّـب) نشرتـه مجلة New York Review of Books الأمريكيـة في عددهـا الصـادر بتاريـخ 25 سبتمبر/ أيلول عام 2015. والمقال عبارة عن عرض لكتابين ظهرا باللغة الإنجليزية حول هذا الموضوع هما:

Anonymous Soldiers: The Struggle for Israel, 1917–1947.
by Bruce Hoffman
Knopf, 618 pp., $35.00

The Reckoning: Death and Intrigue in the Promised Land—A True Detective Story.
by Patrick Bishop
Harper, 299 pp., $26.99

وقـد نقلنا المقالـة إلى العربية كما هـي، دون محاولات تحريـر أو تعديل أو تنقيـح، حتى في الحالات التي نختلف فيهـا مع الكاتب وذلك للأمانة

العلميـة. وعـلى الرغـم مـن أن المُراجـع والكاتبـين يتحدثـون عن بعض عمليات الإرهاب التي قامت بها المنظمات الإرهابية اليهودية في فلسـطين وخاصة قبل عام 1948؛ إلا أن الكاتبين والمُراجع يتّبعون أسلوبا وطريقة درج عليها الكثير من المؤرخين والصحفيين الإسرائيليين والمتعاطفين مع إسرائيـل مـن ذوي التلوينات السياسـية اليسـارية المختلفـة خاصة تلك القريبة من حزب العمل الإسرائيلي؛ ألا وهي تعريف الإرهاب والحديث عنه بشـكل يُخرِج أعـمال "الهاغانا" من خانة الإرهـاب ويعترف بإرهاب "شـتيرن/ ليحي" و"الإيتزيل/ إرغـون" فقط. لا بل يتناسـى هؤلاء أن الكثير مـن عمليـات شـتيرن/ ليحي والإيتزيل/ إرغون كانـت بالتعاون والتنسـيق مـع الهاغانـا أو بمشـاركتها. لهـذا السـبب وللتذكـير بالأعمال الإرهابية الصهيونية في فلسـطين قمنا بإضافة ملحـق وثّقنا فيه الكثير من هـذه الأعمال مع نبذة قصيرة حول هـذه المنظمات وأهدافها. وقد اعتمدنا في قائمتنـا هذه على مصادر مختلفة؛ أكثرها بأقلام إسرائيلية ومن مؤرخين صهاينة، إلا أننا لم نهمل المؤرخين الإسرائيليين النقديين وبعض المؤرخين العـرب. ويجـدر بنا في هذا المجال التنويه بالجهـد الكبير الذي بذله محررو ومؤلفو الموسـوعة الفلسـطينية، وهي مصدر متميز يتوجب إعادة تحريره وتطويـره كي يأخذ بعـين الاعتبار الأبحاث المهمـة الكثيرة التي صدرت خلال العقود الثلاثة منذ صدور هذه الموسـوعة. وسـيلحظ القارئ أننا لم نفصِّل في الحديث عن مجزرة دير ياسـين وذلك بسـبب شهرة هذه المذبحة وكثرة المعلومات المتوفرة حولها.

الإرهابيون اليهود

عساف شارون

في ساعات الصباح الأولى من يوم الحادي والثلاثين من تموز/ يوليو هذا الصيف، أشعل رجال ملثمون النار في منزلين من منازل قرية دوما في الضفة الغربية. كان أحدهما خالياً. بينما كانت عائلة الدوابشة نائمة في الآخر. أصيب سعد وزوجته ريهام وطفلهما أحمد (4 سنوات) بحروق بالغة بعد أن اجتاح اللهب غرفة النوم. أما علي الرضيع (18 شهراً) فقد مات حرقاً على الفور، وتوفي سعد بعد أسبوع جراء الحروق التي أصيب بها. قبل عام، خطف ثلاثة من المتطرفين اليهود محمد أبو خضير (16 سنة) من أمام منزله في القدس الشرقية. اقتاد الخاطفون الصبي إلى غابة، وبعد أن أوسعوه ضرباً، صبوا «البنزين» على أم رأسه وأحرقوه حياً.

ظل الإعدام حرقاً على الدوام أكثر من مجرد عملية قتل. فهو ينقل رسالة ويحمل دلالة. وكانت رسالة الملثمين الذين ألقوا قنبلة «المولوتوف» على غرفة نوم آل الدوابشة واضحة الدلالة، حيث رسموا على الجدار كلمة NEKAMA! ("انتقام" بالعبرية)، مزخرفة بنجمة داوود السداسية.

لا يعد هذا النمط من الإرهاب اليهودي جديداً. ففي عام 2002، حاولت مجموعة سرية من المستوطنين تفجير مدرسة للبنات الفلسطينيات. وفي عام 1994، أطلق مستوطن يهودي مولود في أميركا النار على مصلين فلسطينيين في مدينة الخليل فقتل منهم تسعة وعشرين. وقبل ذلك بعقد من السنين شن عدد من الخلايا السرية التي لا تجمعها روابط وثيقة هجمات إرهابية ضد أهداف فلسطينية متنوعة، شملت الكلية الإسلامية في الخليل، وحافلات للنقل العام، ورؤساء بلديات في الضفة الغربية.

تعود جذور الإرهاب اليهودي المعاصر إلى الحركات المتطرفة والأفراد المتشددين الذين تجولوا في أرجاء فلسطين في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وصدر كتابان جديدان لاستكشاف هذه الجذور: «جنود مجهولون» لبروس هوفمان، و«تصفية الحساب» لباتريك بيشوب.

1

عندما كنت في القدس سمعت دوي تسعة انفجارات بالقرب من الفندق الذي نزلت فيه. فجرت مكاتب الهجرة التابعة لسلطة الانتداب في حيفا وتل أبيب، وقتل اثنان من الشرطة الفلسطينية. هنالك ثلاث مجموعات متطرفة، جميعها منظمات عسكرية خارجة على القانون، تتبنى أساليب فاشية موحدة وترتدي أزياء فاشية موحدة، وتشابه قوات الصدمة النازية.

هكذا وصف فريدريك باينتون، مراسل مجلة *Reader's Digest* تجربته مع الإرهاب اليهودي في أوائل عام 1944 [1]. كانت الانفجارات التي سمعها طلقة البداية لحملة العنف التي شنتها المنظمة السرية «إرغون تسفاي ليومي» («المنظمة العسكرية القومية»، المعروفة أيضاً بالأحرف العبرية الأولى ETZEL) على الانتداب البريطاني. وبعد أحد عشر يوماً من الإعلان عن الحملة في الأول من شباط/ فبراير، نسف أعضاء في

(1) "تقرير" باينتون حول فلسطين (مايو/ أيار 1944) كتب أصلًا على شكل "مذكرة إلى المحرر"، الذي قرر نشره. لم يمر التقرير دون إثارة الاهتمام في فلسطين، حيث استخدمته المؤسسة الصهيونية لتأنيب منافستها، الصهيونية التصحيحية، بينما استعملته هذه الأخيرة لفضح تحريض المؤسسة الخياني ضدها.

"الإرغـون"، بتوجيـه مـن القائد المعـين حديثاً، مناحيـم بيغن، مكاتب الهجرة البريطانية في المدن الفلسطينية الرئيسة.

ينتمـي بيغن، المهاجر مـن بولندا عـام 1942، إلى الجناح التصحيحي في الحركة الصهيونية الذي أسسه فلاديمير جابوتنسكي. أما الهدف فكان تجديد/ تصحيح "الصهيونية العملية" في الحركة العمالية الصهيونية، التي انصب اهتمامها أساساً على بناء مؤسسـات وطنيـة ورعاية مجتمع يهودي في فلسـطين. "كانـت صهيونيـة جابوتنسـكي التصحيحيـة الجليلة تضع الدولـة اليهودية أولاً، وتؤجل الاهتمام بالمجتمع إلى وقت لاحق. إذ يجب إقامة الدولة اليهودية عبر الدبلوماسـية الجسـورة والقوة العسكرية"، كما كتب أفيشـاي مارغاليـت على هذه الصفحات مؤخـراً[1]. على أي حال، اتفق جابوتنسـكي مع منافسـيه في الصهيونية العمالية على إحدى القضايا الجوهريـة: يجب تحقيق أهداف الصهيونية عبر التحالف مع الإمبراطورية البريطانية.

وبعد توقع جابوتنسـكي الصائب هزيمة العثمانيـين في الحرب العالمية الأولى، نظـم خمـس كتائب من المتطوعـين اليهود للقتال مـع البريطانيين. وأمـل بأن تعزز المبـادرة القضيـة الصهيونية بعد الحرب، وتشـيد الركيزة المؤسسة لقوة الدفاع اليهودية.

خـاب أملـه في الهدفـين كليهـا. فالإنجـاز الدبلومـاسي لـن يحققـه جابوتنسـكي، بـل حاييـم وايزمـن، منافسـه اللـدود وأعظم السياسـيين

(1) انظر:

The Spell of Jabotinsky, "The New York Review, November 6, 2014.

المحنكين في الحركة الصهيونية، حيث توجت دبلوماسيته الشخصية بوعد بلفور (1917) الذي عبر عن التزام الحكومة البريطانية تسهيل إقامة «وطن قومي للشعب اليهودي» في فلسطين. جرى حل الفيلق اليهودي بعد وقت قصير من انتهاء الحرب. ثم أسس جابوتنسكي منظمة شبيبة الصهيونية التصحيحية، «بيتار»، التي تشكلت فيها قوة مقاتلة جديدة. «قوات الصدمة» التي شاهدها باينتون مثلها أعضاء المنظمة من أصحاب القمصان البنية. أما منظمة «إرغون»، زارعة القنابل التي سمع دويها، فكانت الذراع المسلحة السرية للحركة التصحيحية.

كان أمل جابوتنسكي معقوداً على هدف آخر: فيلق يجيزه البريطانيون قانونياً لمواجهة معارضة العرب الحتمية، لا منظمة سرية تحارب البريطانيين. ظهر التباين بين آراء الأستاذ وإستراتيجيات التلميذ على السطح في المؤتمر العالمي الثالث لمنظمة «بيتار» عام 1938، حيث تحدى بيغن منهج جابوتنسكي القائم على مناشدة الضمير العالمي؛ طالب بيغن بالانتقال إلى «الصهيونية المقاتلة». وحسب تعبير بروس هوفمان في كتابه الجديد «جنود مجهولون»:

> *كرر جابوتنسكي المذهول مقاطعة كلام تلميذه، وانتقد تشبيهاته التاريخية، كما تساءل بسخرية عن المضامين العملية لدعوة بيغن إلى الانتقال إلى مرحلة جديدة من الصهيونية: الاعتماد على الكفاح المسلح.*

تكشف محاضر المؤتمر أن جابوتنسكي هزأ من بيغن، وقارن كلامه بالضجيج الصادر عن صرير الباب: «عديم المعنى وعقيم الجدوى». ووفقاً لبعض الروايات، غادر بيغن القاعة والدموع في عينيه. لا غنى عن استكشاف الجذور الإيديولوجية لهذا الانقسام لفهم الإرهاب اليهودي، الذي لطخ تاريخ الصهيونية منذ ثلاثينيات القرن الماضي إلى يومنا الحالي.

2

يعتمد كتاب هوفمان «جنود مجهولون» على مواد استخبارية نزعت عنها السرية في السنوات الأخيرة لوصف الإرهاب الصهيوني والكفاح ضده «من منظور السياسيين البريطانيين، والجنود، والمسؤولين، ورجال الشرطة وغيرهم». ويتوصل إلى نتيجة مفادها أن إرهاب بيغن ورفاقه من أعضاء منظمة «إرغون» كان عاملاً فعالاً في تسريع إنهاء الانتداب البريطاني، الذي امتد ثلاثين عاماً منذ انهيار السلطنة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. كانت مهمة بريطانيا وفقاً لمبدأ الانتداب إعداد فلسطين للاستقلال وإقامة دولة. وبعد فشل البريطانيين في إنشاء إدارة محلية، عملية ومحمية، أعلنوا إنهاء الانتداب عام 1948 وتخلوا عن مسؤولياتهم لصالح الأمم المتحدة.

يروي هوفمان الحوادث التي أدت إلى هذا القرار بتفاصيل مسهبة، مشدداً على الخسائر المالية والبشرية والأضرار المعنوية التي ألحقها الإرهاب اليهودي بالبريطانيين. لكن تقييم نجاح الإرهابيين اليهود في تحقيق بغيتهم مسألة أكثر تعقيداً. فقد كان هدفهم المعلن «البعيد» إقامة دولة يهودية على ضفتي نهر الأردن، بينما تمثل الهدف المباشر «القريب» في إلغاء سياسة الكتاب الأبيض البريطانية، التي قيدت بشكل صارم

الهجرة اليهودية إلى فلسطين. لم يتحقق أي منهما في واقع الأمر. ولا ريب في أن تحليل إستراتيجيات الإرهابيين ودوافعهم المحفزة يتطلب الانتباه لجذورهم الإيديولوجية التي لم تحظ باهتمام كاف في كتاب هوفمان.

غابت عن كتاب هوفمان «عصبة الأشداء» Brit Habiryonim، أولى المنظمات السرية المعادية للبريطانيين. مارست أفكار العصبة تأثيراً عميقاً في الصهيونية التصحيحية السرية وفي المتطرفين اليهود منذ إنشائها عام 1930. أسس الحركة ونظّر لها اثنان من المثقفين: الصحافي المتشدد آبا أحيمئير، والشاعر أوري تسفي غرينبرغ. تبنى أحيمئير "إرادة القوة" النيتشوية مبدأ أخلاقياً، ورأى في ديكتاتورية موسوليني القومية نموذجاً يحتذى مثاله في السياسة. انجرف مبتعداً عن إستراتيجية زعيم الصهيونية التصحيحية جابوتنسكي، وأثار استياءه حين دعاه "زعيمنا الدوتشي". "السبيل إلى الخلاص لا يمر على جسر من ورق، بل من حديد"، كما كتب معبراً عن ازدرائه للدبلوماسية، ومخالفاً لا وايزمن فحسب بل جابوتنسكي أيضاً.

أكد أحيمئير أن أخطر جرائم الصهيونية هي اتكالها على الأمم الأخرى بدلاً من إرادتها الذاتية، ونقاء المثل، والاستعداد، بل الرغبة في التضحية. لا يناسب هذا المشروع الجماهير، "الروث البشري"، بل القلة الطليعية. اعتبر أحيمئير، متأثراً بتراث الثوريين الروس، العنف السياسي وسيلة شرعية في ترسانة المتحمسين الغيورين، من أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس الغيرية المنزهة عن الأنانية.

أضـاف غرينبرغ عنصراً صوفياً/ باطنيـاً إلى نزعة أحيمئير الحربية. فقد نشـأ في عائلة حسـيدية في غاليسـيا، واعتقد أن إعادة بنـاء الوطن القومي اليهـودي ليـس في الأسـاس عمليـة دنيويـة للتحرر السـياسي بـل دراما أخروية للخـلاص القومي والبعث الروحي. ولا تعـد الصهيونية حركة سياسية بل "حركة ثورية مدنية" هدفها إعادة تأسيس "المملكة" اليهودية حسـب العهد القديم. ولا بـد أن يحل الهيكل اليهودي محـل قبة الصخرة -"موئل المجد الإسـلامي"- على جبل الهيكل، المرتبط بـ"عنق أورشليم المقطوعة"، كما كتب في واحدة من أوائل قصائده.

وبسـبب هذا المـزج بين القوميـة المحاربـة والصوفيـة الأخروية، عده المعجبـون واحـداً من أعظم شـعراء العبرية، بل اعتبروه نبياً. بينما انقسـم عالمـه "المانوي" الثنـوي إلى يهود وأعـداء. اليهود تطهـروا حين أصبحوا ضحايـا، لكنهـم عانـوا ضعفاً جسـدياً وروحيـاً، فاقمه زعماؤهـم الذين "يعرفون النواح"، لكن يجهلون الثأر. على هذه الخلفية احتفى غرينبرغ بالبطولـة المتهورة لباركوخبا، الزعيم اليهودي الـذي تمرد في القرن الثاني على الرومان فسـحقوا التمرد وأبادوا نصف السـكان اليهود في فلسطين. ويـرى أن أمثال هؤلاء الزعماء الأبطال حافظـوا على الروح القومية حية، ومن ثم انتصروا معنوياً حتى وإن هزموا جسـدياً. "عقيدة باركوخبا حية وصادقة، بالرغم من سقوط بيتار [آخر معاقله]"، كما أعلن.

لكـن المطامح المبـاشرة لغرينبرغ وأحيمئير كانت سـمة مميزة للثوريين الأوروبيين -من "نارودنيا فوليا" الروسية، إلى "سين فين" الأيرلندية، إلى الثوار البولنديين الذين قادهم جوزيف بيلسودسكي. كان الرجلان جزءاً

مـن مجموعة مفككة الأوصال وغريبة الأطوار من الشـعراء والصحفيين والسياسيين، الذين حملوا غالباً اسم "المتطرفين"، حيث تبنوا الرأي القائل إن المصلحـة الوطنية تطغـى على كل شيء آخر، حتـى المبادئ الأخلاقية، وأن وسـائل الدفاع عنها تشـمل العنـف الثوري. ومن أجـل ضمان عدم اسـتخدام هذه "الرخصة" لغايات شخصية أو فئوية، وحصر توظيفها في خدمة الأمـة، يجب أن تكون بواعث حامليها نقية طاهرة. تتمظهر طهارة القلب هذه في نقيض المصلحة الذاتية: التضحية بالذات.

وعـلى غـرار ما يحـدث مع الأفـكار الرومانسـية الأخرى عـن العنف والبطولـة، عمـي غرينـبرغ وأحيمئـير عـن حقيقـة أن الانتـماء إلى حركة عدوانية ومطلقة العنان ربما يكون أيضاً شكلاً من أشكال المصلحة الذاتية الأنانية. ومثلما لاحظ آيزيا برلين بفكره الثاقب فإن أتباعهما الذين روعوا بإرهابهـم البريطانيين "أعطوا الأولوية على ما يبـدو لإرضاء احتياجاتهم العاطفية/ الوجدانية على حسـاب الأهـداف القابلة للتحقق للقضية التي ناصروها"[1].

(1) انظر:

Isaiah Berlin, "Zionist Politics in Wartime Washington: A Fragment of Personal Reminiscence –The Jacob Herzog Memorial Lecture," 1972.

3

أطلق النزاع على جبل الهيكل (=الحرم القدسي) سلسلة من أعمال العنف التي عجلت بتشكيل «الأشداء» و«إرغون». وفي أعقاب الخلافات المتعلقة بترتيبات الصلاة عند الحائط الغربي (=حائط البراق) عام 1929، قاد شبيبة «بيتار» حشداً غاضباً، وهتف المحتجون «الحائط لنا!». أدى ذلك إلى انتشار إشاعات تشير إلى أن اليهود يحاولون الاستيلاء على الحرم القدسي، وهو احتمال ما يزال فعالاً في حشد الفلسطينيين[1]. وفي موجة من الهجمات العنيفة التي شنها الغوغاء العرب، قتل 133 يهودياً بينما تعرض مئات غيرهم للتشويه والاغتصاب والضرب في الخليل والقدس وعشرات من الأماكن الأخرى[2].

---

(1) خططت المنظمات السرية اليهودية التي نشطت في ثمانينيات القرن الماضي لنسف قبة الصخرة. والجدير بالذكر أن زيارة أريل شارون الاستفزازية إلى الحرم القدسي في أيلول/ سبتمبر 2000 أطلقت شرارة الانتفاضة الثانية. كما أن أعمال العنف التي وقعت مؤخراً في القدس اندلعت جراء أنشطة وإشاعات تعلقت بالسيطرة على الأماكن المقدسة.

(2) لا يذكر هوفمان عدة جرائم ارتكبها اليهود في أثناء الأيام الثلاثة من أعمال الشغب، لكنها ترد في دراسة هيليل كوهين المثيرة (التي ستصدر عن مطبعة جامعة برانديز):

1929: Year Zero of the Arab-Jewish Conflict.

كما يكشف كوهين عن دليل يثبت أن خلية يهودية سرية خططت لنسف مسجد عمر في القدس. غاب عن كتاب هوفمان هذا وغيره من الأمثلة المبكرة على العنف السياسي الذي مارسه اليهود، مثل الجماعتين السريتين "هاكيبوتز" و"هاميفال" (ارتبطتا باغتيال الشاعر (المثلي) المتزمت والمعادي للصهيونية يعقوب دي هان عام 1942).

صدمت حوادث صيف عام 1929 المجتمع اليهودي المحلي في فلسطين (اليشوف)، واستحثت جدلاً حامي الوطيس ضمن الحركة الصهيونية. وضع «المتطرفون» من أمثال أحيمئير وغرينبرغ اللوم على زعماء «اليشوف» مثل ديفيد بن غوريون، الذي اعتبروه خائناً، ومداهناً، وداعياً إلى الاستيعاب والاندماج. ودعوا إلى عصيان مفتوح ضد البريطانيين، وانتهاز الفرصة السعيدة «بالانضمام إلى صفوف الأمم الحية [عبر] التضحية لتحقيق المثل الوطني الأعلى».

أدرك جابوتنسكي، الذي لم يكن ثورياً، عقم هذه الاقتراحات. لكن بينما دعا مؤيديها في السر «عصبة من أولاد الحرام الروحانيين»، لم يتمكن من إدانتهم في العلن، بعدما عرف شعبيتهم بين قواعد الحركة الصهيونية التصحيحية. في عام 1931، انشق فصيل عن «الهاغانا» – منظمة الدفاع الرسمية عن «اليشوف»– لتشكيل ما أصبح يعرف في نهاية المطاف بمنظمة «إرغون». وفي عام 1938، نشر بعض أعضاء الحركة التصحيحية بياناً يعلن تأسيس «جبهة الناشطين التصحيحيين»، طالبوا فيه بنقلة إستراتيجية: التخلي عن «التوجه الإنجليزي»، وتبني «سبيل المقاومة الفعالة، واستخدام جميع الأساليب القتالية التي تحرر الشعوب المضطهدة كلها». كان مناحيم بيغن أحد الموقعين على البيان، ومن بين مؤيديه أبراهام شتيرن.

وصف ديفيد رازييل أبراهام شتيرن، الذي تحدى زعامته لمنظمة «إرغون»، كما يأتي:

تمثال رقيق من العاج يلبس ربطة عنق مناسبة تعبر عن ذوق رفيع وبزة أنيقة مكوية. باختصار، كان شخصاً ذكياً مجرداً من المبادئ الأخلاقية، يشوه الحقائق إلى درجة أن حدود الواقع الحقيقي لا تعني شيئاً برأيه. كما أنه ديماغوجي مبالغ في التطرف.

وحين توصل رازييل، بوصفه قائد منظمة «إرغون»، إلى اتفاق للإسهام في المجهود الحربي البريطاني، حاول شتيرن التخلص منه ثم تركه في نهاية المطاف وشكل منظمة سرية متشددة ومناهضة للبريطانيين ستحمل اسم «ليحي» (الأحرف العبرية الأولى من عبارة «المقاتلون من أجل حرية إسرائيل»)، التي سيعرفها البريطانيون باسم «عصابة شتيرن».

لكن شتيرن ورازييل كانا صديقين مقربين في الثلاثينيات، واكتفى شتيرن بأداء مهمات مساعدة في منظمة «إرغون»، حيث قضى معظم وقته في أوروبا يشتري الأسلحة للمنظمات السرية ويقيم معسكرات التدريب في بولندا. كما وفر الإلهام الروحي على شكل مقالات وقصائد نشرت باسم مستعار هو «يائير» (نسبة إلى إلعازر بن يائير، اليهودي «الغيور» Zealot في القرن الأول الميلادي الذي انتهت ثورته المخفقة بانتحار جماعي).

يصف باتريك بيشوب في كتابه "تصفية الحساب" شعر شتيرن بأنه "توليفة من الأبهة الفخيمة، والانتصارية، والعنف الرومانسي". أما أرثر كوستلر، الذي "غازل" الحركة التصحيحية مدة قصيرة في عشرينيات القرن، فقد ترجم هذه الأبيات من إحدى قصائده:

مثل الحاخام

الذي يحمل كتاب الصلاة المقدس

في جعبة مخملية

إلى الكنيس

كذلك أحمل

بندقيتي المقدسة إلى الهيكل

ويقول في قصيدة أخرى: "سوف نصلي بالبنادق، والمدافع الرشاشة، والألغام". اقترن في شتيرن ولع مهوّس بالعنف مع هاجس استحواذي بالموت. في إحدى قصائده المشهورة "جنود مجهولون" (تحولت إلى نشيد وطني للإرغون، وعنوان لكتاب هوفمان)، يصف كيف يبنى الوطن الأم من الجثث المرصوصة المدعمة بدم الأطفال.

❁

يروي باتريك بيشوب في "تصفية الحساب" قصة حياة شتيرن وموته المثير للجدل باعتبارها حكاية أوهام مهيبة وضلالات خادعة تبلغ ذروتها في الفشل المذل. فبعد أن انشق عن "الإرغون"، شنت منظمة شتيرن بين سبتمبر/ أيلول 1940 وفبراير/ شباط 1942 هجمات عديدة استهدفت المؤسسات المالية والمكاتب والمسؤولين البريطانيين. أدت إحدى عمليات السطو الخرقاء إلى اعتقال سبعة من أعضاء المنظمة. بينما قتل اللصوص الهاربون في أخرى اثنين من المارة اليهود، ما أثار سخرية الناس الذين

حاولـت حشـدهم. أما محاولات شـتيرن الطائشـة للتحالف مـع إيطاليا الفاشـية وألمانيـا النازيـة فقـد فشـلت فشـلاً ذريعـاً، ودفعـت وكالات الاستخبارات البريطانية إلى اعتقال مزيد من رجاله. وبدأ بعض مساعديه الانقلاب عليه.

أمر شـتيرن، المعزول واليائس، بتنفيذ عملية مغالية في طموحها: قتل اثنـين من ضبـاط الشرطة البريطانيين، جيفري مورتـن وتوم ولكنز. زرع رجال شـتيرن قنبلتين في أحـد مباني تل أبيب. اسـتهدف الانفجار الأول جلـب الضابطين إلى مكان الحادث، لتنفجـر القنبلة الثانية وترديهما. لكن مورتن أرسـل ضباطاً آخرين إلى موقـع الانفجار. وحين انفجرت القنبلة الثانيـة، قتلت موظفين يهوديين يعملان مع سـلطات الانتداب إضافة إلى ضابط بريطاني.

وبدلاً من جذب الجماهـير اليهودية وتعبئتها، أجمع اليهود كلهم تقريباً عـلى إدانـة العملية. وأعلـن الزعـماء الصهيونيـون أن أعضاء "شـتيرن" "حفنة من المجانين" وتعهدوا بمساعدة الشرطة على مطاردة الإرهابيين. وبعد أسـبوع أطلـق رجال مورتن النار على أربعة من مسـاعدي شـتيرن واعتقلوهم. وسرعان ما سـلم ثلاثة آخرون أنفسهم. وفي الثاني عشر من فبراير/ شباط 1942، عثر على شتيرن عارياً داخل خزانة ملابس في شقة صغـيرة في تـل أبيب. أطلق مورتن عليه النار وقتله على الفور، معلناً نهاية حياة شتيرن، القاتل الإرهابي، وبداية تراث يائير، الشهيد الصهيوني.

في عام 1944، عادت منظمة "ليحي" إلى الواجهة ونفذت العشرات مـن الهجـمات الإرهابيـة، التي دمرت مرافق سـلطات الانتـداب وقتلت

المسؤولين البريطانيين والعرب واليهود على حد سواء. كانت العمليات هذه المرة أشد فاعلية وأعمق تأثيراً، بسبب توجيهات زعيم "ليحي" العنيف المشهور بقسوته التي لا تعرف الرحمة، إسحاق يزرنيتسكي (أو إسحاق شامير، سابع رئيس وزراء في تاريخ دولة إسرائيل). أما أكثر عمليات "ليحي" المشهودة شهرة وإثارة فكانت اغتيال اللورد موين (نوفمبر/ تشرين الثاني 1944) وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط. فقد كمن شابان من عملاء "ليحي" خارج منزله في القاهرة وأطلقا النار على سيارته من مسافة قريبة حين كان عائداً من مكتبه. أُلقي القبض على القاتلين وأعدما شنقاً فيما بعد.

تبين أن هذه العملية، التي استهدفت حشد الجماهير اليهودية وجذب تعاطفها ودفعها إلى الثورة على البريطانيين، قد استندت إلى خطأ ذريع في الحسابات. فقد أصيب مجتمع "اليشوف" بصدمة مروعة، واعتبرت صحافته الشعبية القتلة "خونة". كانت أسباب الاتهام وجيهة في الحقيقة. إذ بدأ ونستون تشرشل آنذاك يروج لفكرة إقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين بعد الحرب. لكن اغتيال والتر موين، صديق رئيس الوزراء وحليفه السياسي، أثار غضبه وحنقه. "لقد أصاب اغتيال موين خطة تشرشل الجريئة لتقسيم فلسطين بإحباط شديد"، كما يكتب هوفمان.

4

تشكل التأريخ الصهيوني والسياسة الإسرائيلية عموماً بالجدل الدائر حول تسويغ الإرهاب الصهيوني ونجاعته قبل تأسيس الدولة عام 1948. بعض المؤرخين والمنظرين الإيديولوجيين ينسبون إليه فضل طرد البريطانيين، بينما ينكره غيرهم بوصفه مسعى عقيماً بل مخرباً. لكن رواية هوفمان مختلفة قليلاً. فهو يدرك عبثية جهد شتيرن وأتباعه، الذين اعتبرهم البريطانيون "متطرفين ومتزمتين خطرين لكن لا أهمية لهم من الناحية العسكرية"، إلا أنه يجد أن الحملة الإرهابية التي شنتها منظمة "إرغون" من عام 1944 إلى نهاية الانتداب عام 1948، مؤثرة وفعالة. ويستنتج أن "بإمكان الإرهاب ضمن ظروف مناسبة ووفق إستراتيجية صائبة وأسلوب تكتيكي صحيح، أن ينجح في تحقيق بعض أهداف ممارسيه الجوهرية على أقل تقدير".

تعد هذه المواصفات والمحددات والشروط سليمة نظراً لأن معظم الأعمال الإرهابية التي عاينها الكتاب أظهرت العكس. إذ لم يحقق إجرام العصابات الذي تبناه "يائير" وأتباعه شيئاً باستثناء تحويله إلى بطل للمتطرفين اليهود. على نحو مشابه، لم ينجز عز الدين القسام، الجهادي الثوري الذي دعا إلى العنف ومجّد التضحية بالذات في أوائل الثلاثينيات،

لم ينجز شيئاً فيما عدا منح الذراع العسكري لحماس اسمها -ألوية القسام. فقد سحقت ثورته قبل أن تبدأ.

ينسب هوفمان إلى أتباع القسام مسؤولية تأجيج ثورة العرب بين عامي 1936 و 1939. لكنها، هي أيضاً، فشلت فشلاً ذريعاً. فقد تمثلت أهدافها، إضافة إلى مهاجمة اليهود، في إلحاق الضرر بالاقتصاد اليهودي، وردع المهاجرين الجدد، وعرقلة إقامة المستوطنات اليهودية. لكن أعمال العنف التي شنها العرب استدعت رداً قاسياً وضارياً، أوقع عدداً أكبر من الإصابات بين المهاجمين العرب مقارنة بالمدافعين اليهود، وأدت إلى تأسيس ميليشيا يهودية مسلحة حظيت بالموافقة الرسمية باسم "نوتريم". وفي الحقيقة، استفاد اقتصاد "اليشوف" من إضرابات العمال العرب وأجبر المستوطنين اليهود على تطوير قوة عاملة مستقلة خاصة بهم. وبعد إغلاق ميناء يافا، اضطر المسؤولون البريطانيون إلى منح الإذن بإقامة ميناء حديث وعميق المياه في تل أبيب المجاورة. ولم يستعد ميناء يافا القديم -أحد المصادر الرئيسة للاستخدام والدخل للفلسطينيين- وضعه السابق قط.

استمرت الهجرة اليهودية حين لاح شبح النازية في أفق أوروبا. تسارع نشاط الاستيطان. واقترحت لجنة بيل البريطانية، التي أرسلت للتحقيق تحت سلطة الانتداب في أعمال العنف، اقترحت لأول مرة إقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين التاريخية. وإذا هزم العرب في المعركة العسكرية التي خاضوها من أجل فلسطين عام 1949، فقد خسروا الصراع الدبلوماسي والاقتصادي قبلها بعقد من السنين.

أدرك ديفيد بين غوريون أن الإرهاب العشوائي الذي مارسه الثائرون الفلسطينيون دون تمييز كان "هزيمة ماحقة للسياسة العربية". تبنت القيادة الصهيونية إستراتيجية "ضبط النفس". واعتبر الثوريون ذلك ضعفاً. وطالبوا بالرد العنيف والتخلي عن سياسة التحفظ. كما شجعوا "الجنود المجهولين" في قوات "الإرغون" على شن الهجمات، وذكروهم ببيت آخر من قصيدة لشتيرن: "لا يعفي من الواجب إلا الموت". قتل مئات من العرب الأبرياء وجرح الآلاف في عشرات من عمليات التفجير وإطلاق النار العشوائي التي نفذتها منظمة "الإرغون" في المقاهي والحافلات والأسواق. ومثلما علق هوفمان، ثبت أن هذه الهجمات قد أعطت نتائج عكسية. "دفعت العرب المعتدلين حتى ذلك الحين إلى أحضان الثوار والمتمردين". تعرضت "الإرغون" للإدانة من العرب والبريطانيين واليهود. ودعاها بن غوريون "حزباً نازياً".

اعتمدت ثورة بيغن عام 1944 على التحليل المختل ذاته. ومثلما ذكر فريدريك باينتون آنذاك:

> *الحجة تؤكد أن العرب حين فتحوا أبواب الجحيم عام 1936 أجبروا الحكومة البريطانية بالترهيب على تقديم الكتاب الأبيض، كذلك يأمل اليهود الآن بأن تؤدي الأساليب التكتيكية نفسها إلى ترويع البريطانيين وإجبارهم على الموافقة على الهجرة مرة أخرى.*

لكن مثلما لم تدفع الهجمات العشوائية على العرب إلى تخفيف عدائهم في الثلاثينيات، لم يؤد سقوط مئات الضحايا البريطانيين إلى تعديل

سياسة سلطات الانتداب المتعلقة بالهجـرة في الأربعينيات. ومع ذلك، يـرى هوفمان حملة «إرغـون» الإرهابية بوصفها عمليـات بارعة ومتقنة وفاعلة.

الفـارق الذي ميـز حملة بيغن، برأي هوفمان، هو إسـتراتيجيته القائمة على تقويض سمعة البريطانيين وهيبتهم. يستشهد برواية لبيغن:

> *يؤكد لنا التاريـخ وملاحظتنا المباشرة بالحجة والدليل أن نجاحنا في تدمير هيبـة الحكومة [البريطانية] في أرض إسرائيل، سـوف يتبعه زوال حكمها آلياً.*

الشاهد مأخوذ من مذكرات بيغن، التي كتبها بعد سنوات من الحوادث التي وقعت. لكن الأدلة المسـتمدة من تلك الحقبة تشـير إلى أن بيغن كتب مسـتفيداً مـن الإدراك المتأخر، أي معاينة الحدث بعـد وقوعه. فقد بقيت صلتـه بـ «المتطرفـين»، التـي تمظهـرت في المواجهة مع جابوتنسـكي عام 1938، قوية وثيقة كحالها دوماً. يقول بيشوب: «تعرَّف بيغن إلى أبراهام شتيرن في وارسو وأعجب به». وحين تولى القيادة في «إرغون» «كان تواقاً لرأب الصدع القديم بين الإرغون وأتباع شتيرن».

في الحقيقـة، كان بيغن، وفقاً للباحـث الإسرائيلي جوزيف هيللر، هو العنـصر المؤثـر الأسـاسي في ترويـج الأفـكار الثورية لأحيمئير وشـتيرن وغيرهـا مـن «المتطرفـين» ضمـن منظمة «إرغـون». وأكدت منشـوراته وبياناتـه منذ الأربعينيات أن الاسـتعراضات الجريئـة للبطولة والتضحية سـوف تبعـث القوى الهاجعـة لدى الأمـة من مرقدهـا، وسـينطلق منها

«جيش التحرير» لشن «حرب الاستقلال الوطنية» ضد البريطانيين. لكن قيادة «اليشوف» أدانت الإرهابيين وأطلقت حملة مناهضة للإرهاب عرفت باسم «الموسم المفتوح»، بينما بقيت «إرغون» منظمة إرهابية صغيرة وسرية.

*

وعلى الرغم من ذلك كله، مارست عمليات منظمة «إرغون» بزعامة بيغن تأثيراً فعالاً، بغض النظر هل قصد ذلك أم لا. كان بيغن خطيباً مفوهاً مع موهبة خاصة على المسرح السياسي. بينما استحثت المكائد والهجمات التي أمر بها البريطانيين على اتخاذ إجراءات قاسية، ما فاقم مشاعر الاستياء والحنق على سلطات الانتداب وكثف الإحساس العام بالفوضى. تزايدت ردة الفعل السلبية من بلدان العالم على سيطرة بريطانيا على فلسطين، وتركزت غالباً على تقييدها لهجرة الناجين من المحرقة. كما أدت الخسائر التي أوقعها الإرهابيون إلى إضعاف الروح المعنوية لدى مسؤولي سلطات الانتداب. يستشهد هوفمان بكثير من البيانات والتصريحات للمسؤولين العسكريين والسياسيين، فضلاً عن المراسلين البريطانيين، التي عبرت عن الشكوك باستدامة الانتداب في مواجهة إرهاب منظمة «إرغون». لكن التحديد الدقيق لتأثيره في عملية صنع القرار البريطاني أمر معقد ومركب نظراً لحقيقة كونه عاملاً واحداً من بين جملة عوامل. يلاحظ هوفمان:

ثمة سلسلة أخرى من التطورات الجارفة -شملت المصاعب الاقتصادية التي واجهت بريطانيا بعد الحرب، ومنح الهند استقلالها، وتدهور العلاقات مع الولايات المتحدة حول فلسطين، والضغوط المكثفة للهجرة اليهودية غير الشرعية، وقوة الرأي العام الدولي والمحلي، ومحنة الناجين من المحرقة وبلوى النازحين اليهود الهائمين على وجوههم في أرجاء أوروبا، وتقرير لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين الذي أوصى بإنهاء الانتداب- اجتمعت كلها معاً لدفع الحكومة العمالية باتجاه هذا الوضع اليائس الخطير.

ومع ذلك يبدو أن هوفمان يتفق مع مؤرخين، من أمثال مايكل كوهين، منحوا أهمية أكبر لهجمات «إرغون»، وشددوا على تأثير العمليات الخاصة، مثل تفجير مقرات سلطات الانتداب في فندق الملك داوود (يوليو/ تموز 1946) الذي أدى إلى مقتل واحد وتسعين شخصاً من البريطانيين والعرب واليهود، وشنق رقيبين في الجيش البريطاني بعد سنة. ويزعم آخرون أن الهجمات «أطلقت بالفعل موجة استياء هائلة معادية للحكومة لدى الرأي العام البريطاني، لكن النخبة المسؤولة عن صنع القرار قد اتخذت قرارها». كتب المؤرخ الإسرائيلي موتي غولاني يقول: «تأريخ الحقبة متفق عموماً على نتيجة مفادها أن نهاية الحكم البريطاني في فلسطين لم يجلبها الإرهاب العربي ولا اليهودي»[1].

---

(1) انظر:

Michael Cohen, *Palestine and the Great Powers, 1945-1948* (Princeton University, 1982); Josepf Heller, "Review of *Palestine and the Great Powers, 1945-1948,*" *Middle Eastern Studies*, Vol. 23. No. 4 (1987), p. 549; Motti Golani, *The End of the British Mandate for Palestine, 1948* (Palgrave, 2009), p. 9.

فضلاً عن ذلك كله، شجع على التقسيم كبار المسؤولين البريطانيين، ومنهم تشرشل، بغض النظر عن حملة «إرغون» الشعواء. وفي ضوء الظروف المالية والجيوسياسية التي سادت بعد الحرب ودفعت البريطانيين إلى التخلي عن كثير من المناطق في شتى أنحاء العالم، يبدو من المبرر التزام جانب الحيطة والحذر عند التوصل إلى نتيجة تتعلق بالإرهاب اليهودي: في أفضل الحالات، اكتفى بتسريع تخلي البريطانيين عن الانتداب. وما يتضح دون لبس أن الإرهاب يكون في أشد حالاته فاعلية عندما يمنع الدبلوماسية من حل النزاعات[1].

جرى تفكيك «إرغون» و«ليحي» بعد قيام دولة إسرائيل، لكن فلسفتهما ما تزال قوة فاعلة في البلاد. أصبح بيغن رئيساً للوزراء عام 1977، وخلفه شامير عام 1983. واحتل الأتباع والأنصار والخلفاء -وما يزالون- مواقع مركزية في الحياة العامة الإسرائيلية. ولا ريب في أن القومية الحربية المقاتلة والحمية الدينية المتحمسة لأحيمئير، وغرينبرغ، ويائير وأتباعهم، تواصلان حث المتطرفين اليهود وتحفيزهم وإلهام الإرهاب اليهودي. أما تحديهما فيعد معركة فكرية وثقافية لا تقل صعوبة عن مهمة تطبيق القانون.

---

(1) من الواضح أن إستراتيجية «إرغون» كانت محفوفة بالمخاطر. ومثلما كتب ناشط تصحيحي بارز في مذكراته: «الحظ ساعد إرغون. فقد ضمت الحكومة البريطانية عناصر كانت ترغب في دفعها إلى اتخاذ إجراءات عقابية وانتقامية واسعة النطاق ضد اليشوف. ولو قبلت الحكومة البريطانية مقاربة هؤلاء، لتحولت الإرغون في التاريخ اليهودي إلى عنصر تدميري. وحين نعاين الماضي من منظور الحاضر، نعرف أن الجدار البريطاني الذي كنا مع الإرغون نطلق عليه النار مزعزع الأركان وآيل للسقوط». انظر:
Binyamin Eliav, Memoirs (in Hebrew; Am Oved, 1990).

يظهـر انتخاب بنيامين نتنياهو -الـذي أطلق تصريحات عنصرية قصد منهـا إثارة الخـوف بعد أن تراجعت شـعبيته في اسـتطلاعات الرأي- أن مشـاعر العنـف والآراء المتطرفـة التي ناقشـها هوفمان وبيشـوب ما تزال حية وفاعلة. كان والد نتنياهو، الباحث المختص في تاريخ محاكم التفتيش (توفي عام 2012)- منظراً تصحيحياً انتمى إلى أوسـاط «المتطرفين». كما اشـتهر بخوفه الرهابي من الإسـلام وتأييد الإرهاب في حقبة ما قبل قيام الدولـة، بينـما عارض أي اتفـاق مـع العرب، حتى معاهدة السـلام مع مصر.

يقاسـمه ابنـه كثيراً من آرائـه على الرغم مـن الخطابـة المنمقة عن حل الدولتـين، الذي عارضـه في أثناء الانتخابات ثم وافـق عليه على مضض فيـما بعد. في أوائل مايو/ أيار، شـكل حكومة جديـدة ضمت أعضاء من حزب البيت اليهودي، الذي يؤيد توسـيع المسـتوطنات في الضفة الغربية ويعـارض الدولـة الفلسـطينية. تخلى تكتـل «الليكـود» بزعامـة نتنياهو عـن آخـر التزامـات جابوتنسـكي الليبراليـة وتحـول إلى حـزب مسـتعد لاسـتغلال الازدراء العنـصري للعـرب. في الختـام: لا غنـى عـن فهـم الجذور الإيديولوجية لزعماء إسرائيل الحاليين إذا أردنا النجاح في تحديهم واستبدالهم.

New York Review of Books, 24 September, 2015

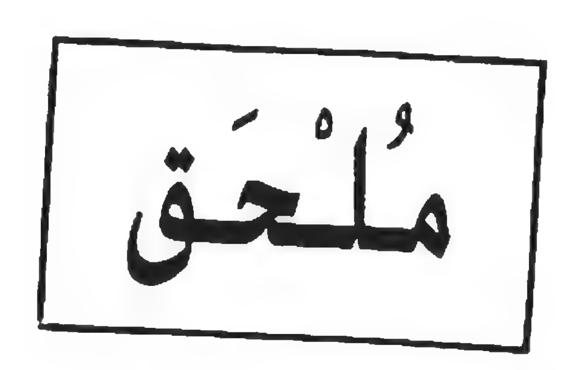
Anonymous Soldiers: The Struggle for Israel, 1917–1947.
by Bruce Hoffman
Knopf, 618 pp., $35.00

The Reckoning: Death and Intrigue in the Promised Land—A True Detective Story.
by Patrick Bishop
Harper, 299 pp., $26.99

جنود مجهولون: الكفاح في سبيل إسرائيل، 1917–1947
بروس هوفمان
دار «كنوبف»: 618 صفحة، 35 دولاراً.

تصفية الحساب: الموت والمكيدة في الأرض الموعودة–قصة بوليسية حقيقة
باتريك بيشوب
«هاربر»: 299 صفحة، 26.99 دولاراً.


صفحة فارغة



من الإرهاب الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948 م

برزت منذ سنة 1890 ثلاثة اتجاهات أساسية في الحركة الصهيونية:

- تيار الاشتراكية الصهيونية، المجسدة في مختلف الأحزاب ذات التوجه الاشتراكي؛
- التيار الديني الصهيوني، الذي كان يمثله حزب الصهيوني مزراحي؛
- التيار اليميني الليبرالي، وهذا التيار لن يتبلور كإطار سياسي إلا مع سنة 1920 تحت إشراف حاييم ويزمان الموالي للبريطانيين.

إذا كانت سنة 1917 عرفت صدور وعد بلفور الداعي لإقامة "وطن قومي لليهود" الصادر عن وزير خارجية المملكة المتحدة جيمس آرثر بلفور فإن سنة 1920 ستعرف البداية العملية لتنفيذ "وعد بلفور"، عند اجتماع الدول الغربية الاستعمارية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى في مؤتمر "سان ريمو" حيث ستقرر إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتمّ وضع الآليات الكفيلة بتطبيق ذلك، وكان أولها جعل فلسطين العربية تحت الانتداب البريطاني، الأمر الذي منح للصهيونية العالمية فرصة هائلة كي تحقق

أهدافها. وقد اتخذت الحركة الصهيونية لأجل ذلك مجموعة من الوسائل - ومن بينها الإرهابية العنيفة - المتوخى منها فرض الوجود اليهودي على الأرض العربية بالقوة والنار، لأجل إخلاء أرض فلسطين من ساكنيها، عبر ترويعهم بشتى الوسائل تحت شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

بداية العمل الإرهابي الصهيوني على أرض فلسطين

في عام1920 قامت مجموعة من اليهود المتشددين في القدس بإنشاء منظمة أطلقوا عليها اسم "الهاغانا"، على إثر بداية تحرك القوى العربية الفلسطينية الرافضة للتواجد البريطاني والصهيوني على أرض فلسطين. فأُنشئت الهاغانا كبديل للـ"هاشومير" (أي الحرس) في يونيو/ حزيران 1920.

في الأعوام التسعة الأولى لتأسيس الهاغانا، كانت الأوضاع مستتبّة نسبياً وكانت الهاغانا تُدار من قِبل إدارة مدنية بقيادة يسرائيل جاليلي. وما أن اندلعت الثورة العربية في 1929 حتى تطوّر حال منظمة الهاغانا بشكل جذري وانضم إليها آلاف الشبّان اليهود وقامت باستيراد السلاح الأجنبي وإنشاء الورش لتصنيع القنابل اليدوية والمعدات العسكرية الخفيفة، وتحولت إلى جيش نظامي بعد أن كانت ميليشيا ذات تدريب متدنٍ. كما حظيت هذه القوات بمساعدة بريطانية مباشرة من خلال مساهمة ضباط بريطانيين في سلطة الانتداب بتدريب قواتها.

بحلول العام 1936، أصبح أعداد الهاغانا 10000 مقاتل و 40000 من الاحتياط. وخلال ثورة 1936 – 1939، قامت الهاغانا بحماية المصالح البريطانية في فلسطين وقمع الثوّار الفلسطينيين. وبالرغم من عدم اعتراف الحكومة البريطانية بالهاغانا؛ إلا أن القوات البريطانية قامت بالتعاون معها فيما يتعلق بالقضايا الأمنية وأمور القتال.

في العام 1939، أعلن رئيس مجلس إدارة "الوكالة اليهودية" ديفيد بن غوريون دعمه التّام للحكومة البريطانية وعزمه القتال ضد "أدولف هتلر" النّازي مع القوات البريطانية، إلا أن أفراد منظمة إيتزيل (الإرغون) لم يعبؤوا بتصريح بن غوريون وقاموا بقصف المواقع البريطانية.

في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية، قامت القوات البريطانية بالتماس التعاون مع منظمة الهاغانا خوفاً من تغلغل قوات دول المحور في شمال أفريقيا. ولكن بعد هزيمة رومل في معركة العَلَمَين في 1942، تنفّس البريطانيون الصعداء وأخذوا خطوة إلى الوراء فيما يخصّ الدعم والتعاون مع منظمة الهاغانا.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، عمدت منظمة الهاغانا إلى شنّ حملة معادية للقوات البريطانية في فلسطين، فقامت بتحرير المهاجرين اليهود الذين احتجزتهم القوات البريطانية في معسكر "عتليت"، وقامت بنسف سكك الحديد بالمتفجرات، ونظّمت حملة هجمات تخريبية استهدفت مواقع الرادار ومراكز الشرطة البريطانية في فلسطين. أضف إلى ذلك استمرار منظمة الهاغانا بتنظيم الهجرات اليهودية غير المشروعة إلى فلسطين.

في 28 أيار/ مايو 1948، أعلنت الحكومة الإسرائيلية المؤقّتة إنشاء "جيش الدفاع الإسرائيلي" الذي خلف الهاغانا في أداء دور الأمن ومنعت الحكومة الإسرائيلية المؤقّتة أيًا من التشكيلات القتالية باستثناء جيش الدفاع الإسرائيلي إلا أن منظمة إيتزيل/ الإرغون لم تعبأ بقرار الحكومة المؤقتة مما أثار المناوشات بين قوات إيتزيل وقوات الهاغانا لفترة وجيزة، وفي النهاية، ألقى مقاتلو إيتزيل أسلحتهم وشكّل قائدهم مناحيم بيغن حزباً سياسياً (حزب حيروت) على أنقاضها.

منظمة ايتزيل

لم يرض اليمين الصهيوني عن ممارسات الهاغانا وعن تعاونها مع الانجليز فكان تشكيل أول مجموعة صهيونية متأثرة بالفاشية الإيطالية عام 1930 وهي منظمة "بريت هابيريونيم" التي أسسها وقادها أبا حاهايمئير والتي قامت بعدة أعمال إرهابية بعضها ضد اليهود المعارضين لها. وقد اتهمت هذه المجموعة الصغيرة باغتيال حاييم أرلوزوروف القيادي الاشتراكي الصهيوني إلا أنها انحلّت عام 1933.

في العام 1931، قام اليمين المتطرّف في منظمة الهاغانا خاصة فرع القدس بقيادة أبراهام تيهومي برفقة 19 من الضباط اليهود السابقين الذين كانوا في جيش الاتحاد السوفياتي بالانشقاق وتأسيس منظمة الـ "أرغون بيت" التي تحول اسمها عام 1932 إلى ايتزيل Etzel (إرغون تسفائي لئومي أي المنظمة القومية العسكرية) ويعزى انشقاق إيتزيل عن الهاغانا إلى عوامل عدة أهمها الدعم من قبل الصهاينة اليمينيين (التحريفيين) بقيادة جابوتينسكي.

تلقّت ايتزيل دعماً سريّاً من بولندا ابتداءً من العام 1936 وكانت الحكومة البولندية تأمل في تشجيع الهجرة اليهودية البولندية عن طريق هذا الدّعم. تمثّل الدعم البولندي لـ إيتزيل على تقديم العتاد والتدريبات العسكرية. سيبرز وبشكل لافت دور الصهيوني فلاديمير جابوتينسكي الذي أوصى بالضرب بقوة كل الأهداف المتاحة (عربية كانت أم بريطانية)، وذلك بعد إعدام أحد نشطائها على يد السلطات البريطانية لضلوعه في أنشطة إرهابية راح ضحيتها جنود بريطانيون. وقد كانت سياسات إيتزيل تهدف - حسب ما قال مؤسسوها - إلى خلق جو من الرعب بين السكان العرب عبر عمليات إرهابية اعتباطية كما تدل القائمة الملحقة.

وفي العام 1943، تولّى مناحيم بيغن (أحد رؤساء وزراء إسرائيل لاحقاً) قيادة منظمة إيتزيل، وبُعيْد إعلان دولة إسرائيل، حلّت الحكومة الإسرائيلية المؤقّتة آنذاك جميع المنظمات العسكرية لتكوين «جيش الدفاع الإسرائيلي» وكانت إيتزيل إحدى تلك المنظمات.

خلال الثورة الفلسطينية التي قامت ضد الانتداب البريطاني على فلسطين 1936 - 1939، قامت المنظمة الصهيونية ايتزيل بما يزيد عن 60 عملية عسكرية ضد الفلسطينيين العرب إضافة إلى مهاجمتها قوات الاحتلال البريطاني. شنت منظمة إيتزيل سلسلة من الهجمات إبان نشوب الحرب العالمية الثانية، راح ضحيتها ما يزيد عن 250 من العرب الفلسطينيين في تلك الفترة. وقد تم وسم هذه المنظمة بصفة الإرهاب من قبل الحكومتين البريطانية والأمريكية وصحيفة نيويورك

تايمـز المعروفـة والمملوكة من قبل يهود أمريكيـين، وأيضاً من قبل اللجنة الأنجلو-أمريكية للتقصي، إضافة إلى شـخصيات عالمية بارزة ومنها يهود أمثال حنَّة أرندت وألبرت أينشتاين وذلك في رسالة نشرت في النيويورك تايمـز بتوقيع 28 مفكـرًا يهوديًا بتاريخ 4 كانون الأول/ ديسـمبر 1948 حيث وصفت الرسالة مناحيم بيغن بالإرهابي والفاشي.

شتيرن أو ليحي

شـتيرن أو ليحي (المقاتلون من أجـل حرية إسرائيل – ليحي)، منظمة إرهابيـة صهيونية أسسـها البولنـدي أبراهام ("يائير") شـتيرن وتعد من أكثر الميليشـيات الصهيونية شراسـة وشهرة. كانت شـتيرن متأثرة بأفكار الفاشـية الإيطالية ولا تحبذ بل تعادي التحالف مع بريطانيا وتعتبر القتال ضدها الهدف الثاني بعد القتال ضد العرب الفلسطينيين وإرهابهم.

بعـد الانشـقاق الذي حدث في صفـوف منظمة ايتزيـل الصهيونية في أعقاب موت جابوتنسـكي في عام 1940، قام أبراهام شـتيرن بتأسـيس مجموعـة أطلـق عليها اسـم "المحاربـون من أجـل حرّية إسرائيـل Lehi" والتي تُعرف باسـم "شـتيرن" نسبة إلى مؤسسـها. ويعود السبب الرئيسي لإنشـاء جماعة شتيرن لرغبة مؤسسها وأتباعة العمل المستقل خارج نطاق وتوجيهات المنظمة الصهيونية العالمية، بل وحتى بعيداً عن مظلّة الهاغانا، الـذراع العسـكري للمنظمة الصهيونيـة على أرض فلسـطين قبل إعلان دولة إسرائيل في عام 1948.

وتتلخص أهداف مجموعة شتيرن في النقاط التالية:

الاستيلاء على أرض فلسطين بالقوة العسكرية وتحقيق حلم إنشاء دولة إسرائيل بالتخلّص من جميع "المحتلّين" العرب. الحدود الجغرافية لهذا الحلم تمتد من نهر الفرات شرقاً إلى نهر النيل غرباً. وجوب إنشاء جيش يهودي يقوم على حماية هذا الحلم ولا يتحقق هذا الحلم إلا بجلاء قوات الانتداب البريطاني عن أرض فلسطين. تنظيم هجرة اليهود في "الشتات" إلى أرض فلسطين وحل مشكلة السكان "الغرباء" [أي السكان العرب في فلسطين] عن طريق تبادل السكان.

لقي أبراهام شتيرن مصرعه في العام 1942 على يد قوات الانتداب البريطانية بعدما تعقّبته وقام أنصار شتيرن بالثأر لمصرعه عن طريق اغتيال اللورد موين، الوزير البريطاني لشؤون الشرق الأوسط في القاهرة في تاريخ 6 نوفمبر 1944 ونسف المعسكرات العربية والبريطانية ومن بينها سرايا يافا في نوفمبر 1947.

ذابت شتيرن في جيش الدفاع الإسرائيلي في أيار/ مايو 1948 إلا أن تمرّداً حصل في صفوفه في القدس، وأطلق المتمردون على أنفسهم اسم "جبهة الوطن" وقام المتمردون باغتيال الكونت برنادوت. تحفّظت حكومات العالم على اغتيال الكونت برنادوت وأبدت استياءها، وشكّل التحرك العالمي باغتيال الكونت برنادوت ضغطاً على الحكومة الإسرائيلية وقامت بإلقاء القبض على منفّذي عملية الاغتيال وسجنهم ثمّ أطلقت سراحهم بعفو خاص.

صرفت الحكومة الإسرائيلية رواتب تقاعدية لمنتسبي منظمة شتيرن ومنحت لبعض أفراد المنظمة نياشين محاربي الدولة. ولا تمرّ ذكرى مقتل شتيرن مرور الكرام، إذ يقوم السّاسة الإسرائيليون ومسؤولو الحكومة بحضور تأبين أبراهام شتيرن في كل عام. وقامت الحكومة الإسرائيلية في العام 1978 بإصدار طابع بريدي يحمل صورته. من الجدير بالذكر أن قائد عملياتها في أواخر الأربعينيات إسحق شامير أصبح فيما بعد رئيسا للحكومة الإسرائيلية.

قائمة ببعض الأعمال الإرهابية للمنظمات الصهيونية في فلسطين 1936 - 1948

وفيما يلي قائمة بأبرز الأعمال الإرهابية التي ارتكبها أفراد المنظمات العسكرية الصهيونية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، والأغلبية الساحقة من هذه العمليات الإرهابية – قبل عام 1947 – كانت من تخطيط وتنفيذ إيتزيل وشتيرن، وهي موثقة من عدة مصادر أهمها:

مذكرات القادة العسكريين والسياسيين لهذه التنظيمات

الموسوعة الفلسطينية. دمشق، 1984.

عبد الوهاب كيالي: تاريخ فلسطين الحديث. بيروت، 1970.

- *Religious Fundamentalism and Political Extremism:Totalitarian Movements and Political Religions.* Ami Pedahzur and Leonard Weinberg (Editors). Routledge, 2003, pp. 94-121
- Pappe, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine.* One World, 2006.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان: التطهير العرقي في فلسطين.

- Begin, Menachem. *The Revolt: Story of the Irgun.* New York: Henry Schuman, 1951.
- Ben-Eliezer, Uri. *The Emergence of Israeli Militarism*, 1936-1956. Tel-Aviv: Dvir, 1995.
- *The Making of Israeli Militarism.* Bloomington: Indiana University Press, 1998.
- Cohen, Geula. *Woman of Violence: Memories of a Young Terrorist*, 1945-1948. NewYork: Holt, Rinehart and Winston, 1966.
- Khalidi, Walid (ed.). *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in* 1948 Washington: Institute for Palestine Studies, 1992.
- Masalha, Nur. *Expulsion of the Palestinians: The Concept of 'Transfer' in Zionist Political Thought*, 1882-1948. Washington: Institute for Palestine Studies, 1992.
- *A Land Without People: Israel, Transfer and the Palestinians.* London: Faber and Faber, 1997.
- McGowan, Daniel and Matthew C. Hogan. *The Saga of the Deir Yassin Massacre, Revisionism and Reality.* New York: Deir Yassin Remembered, 1999.
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem*, 1947-1949. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited.* Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

أما الأعمال الإرهابية فأهمها ما يأتي:

- 20 نيسان / أبريل 1936: مقتل اثنين من المزارعين العرب العاملين في مزارع الموز.
- 22 نيسان / أبريل 1936: رمي قنابل على مارة عرب في شارع في القدس.
- 22 نيسان / أبريل 1936: رمي قنابل على مارة عرب في شارع في تل أبيب.
- 6 آذار/ مارس 1937: مقتل مواطنين عربيين فلسطينيين في وادي هيفر.
- 12 آذار/ مارس 1937: مقتل مواطنين عربيين فلسطينيين في مدينة بات يام الساحلية.
- 4 نيسان / أبريل 1937: رمي قنبلة على مقهى عربي في حيفا.
- 12 أيلول/ سبتمبر 1937: تفجير حافلة تقل عربًا في منطقة القدس.
- 11 تشرين الثاني / نوفمبر 1937: إطلاق نار على شاحنة يقودها فلسطيني وقتله.
- 14 تشرين الثاني / نوفمبر 1937: رمي قنبلة على مقهى عربي في القدس.
- في أواخر كانون الأول/ ديسمبر عام 1937: ألقى أحد عناصر تنظيم إيتزيل قنبلة على سوق الخضار المجاور لـ "بوابة نابلس" في مدينة

القدس، مما أدى إلى استشهاد عشرات من المواطنين العرب، وإصابة الكثيرين بجراح.

- في السادس من آذار/ مارس عام 1938: ألقى أعضاء تنظيمَيْ إيتزيل وليحي قنبلة على سوق حيفا، مما أدى إلى استشهاد 18 مواطناً عربياً، وأصيب 38 آخرون بجراح.
- 12 نيسان / أبريل 1938: مقتل شرطيين عربيين فلسطينيين وشرطيين بريطانيين بتفجير قنبلة داخل قطار في حيفا.
- 17 نيسان / أبريل 1938: مقتل مواطن عربي فلسطيني بتفجير قنبلة في مقهى في مدينة حيفا.
- 17 أيار / مايو 1938: مقتل شرطي عربي فلسطيني في هجوم على حافلة كان يستقلها على طريق القدس – الخليل.
- 24 أيار / مايو 1938: مقتل 3 مواطنين عرب فلسطينيين بالرصاص في حيفا.
- 23 حزيران / يونيو 1938: مقتل مواطنين فلسطينيين اثنين قرب تل أبيب.
- 26 حزيران / يونيو 1938: مقتل 7 مواطنين عرب فلسطينيين في انفجار قنبلة في يافا.
- 27 حزيران / يونيو 1938: قتل مواطن عربي في حيفا.

- أواخر حزيران / يونيو 1938: قتل عدد غير محدد من المواطنين الفلسطينيين بتفجير قنبلة ألقيت على سوق محتشد في القدس قرب مستشفى.
- 5 تموز / يوليو 1938: قتل 3 مواطنين فلسطينيين في إلقاء قنبلة على حافلة تقلهم في القدس.
- 5 تموز / يوليو 1938: إطلاق الرصاص على مجموعة من الفلسطينيين العرب وقتل 7 منهم قرب تل أبيب.
- 5 تموز / يوليو 1938: قتل مواطن عربي فلسطيني في هجوم آخر في القدس.
- 6 تموز / يوليو 1938: مقتل 18 مواطنًا عربيًا فلسطينيًا و 5 يهود وجرح 52 مواطنًا في تفجير قنبلتين موقوتتين في سوق في حيفا.
- 8 تموز / يوليو 1938: قتل 4 مواطنين فلسطينيين بقنبلة في القدس.
- 13 تموز / يوليو 1938: قتل 10 مواطنين عرب فلسطينيين وجرح 31 بتفجير قنبلة في سوق الخضار القديمة بالقدس.
- 25 تموز / يوليو 1938: انفجرت سيارة ملغومة، وضعها أعضاء في تنظيم إيتزيل في السوق العربية في مدينة حيفا، فاستشهد جراء ذلك 35 مواطناً عربياً، وجرح 70.
- 26 آب / أغسطس 1938: قتل 24 مواطنًا عربيًا فلسطينيًا بتفجير قنبلة في سوق في يافا.

- 26 آب / أغسطس 1938: انفجرت سيارة ملغومة وضعها أعضاء تنظيم إيتزيل في سوق القدس، فاستشهد جراء الانفجار 34 عربياً وجرح 35 آخرون.
- 27 شباط/ فبراير 1939: قتل 33 مواطنًا عربيًا فلسطينيًا خلال هجمات متعددة، سقط 24 منهم بتفجير قنبلة في منطقة السوق في حيفا، وسقط 4 آخرون في تفجير قنبلة بسوق الخضار في القدس.
- 27 مارس/ آذار 1939: فجر أعضاء تنظيم إيتزيل قنبلتين في حيفا فاستشهد 27 عربياً وجرح 39 آخرون.
- 29 أيار / مايو 1939: قتل 5 مواطنين عرب فلسطينيين بتفجير لغم أرضي قرب سينما (Rex) في القدس.
- 29 أيار / مايو 1939: تم إطلاق النار وقتل 5 مواطنين عرب فلسطينيين في غارة على قرية بير عدس قضاء يافا.
- 2 حزيران / يونيو 1939: قتل 5 مواطنين عرب فلسطينيين بانفجار قنبلة قرب بوابة يافا في القدس.
- 12 حزيران / يونيو 1939: تفجير مكتب البريد في القدس، ومقتل خبير متفجرات بريطاني أثناء محاولته إبطال مفعول القنبلة.
- 16 حزيران / يونيو 1939: مقتل 6 مواطنين عرب فلسطينيين في هجمات متفرقة في القدس.
- 19 حزيران / يونيو 1939: مقتل 20 مواطناً عربياً فلسطينياً بتفجير شحنة من المتفجرات محملة على حمار في سوق مدينة حيفا.

- 29 حزيران / يونيو 1939: مقتل 13 فلسطينيًا في هجمات إطلاق نار متفرقة خلال ساعة واحدة.
- 30 حزيران / يونيو 1939: مقتل مواطن عربي فلسطيني في سوق مدينة القدس.
- 30 حزيران / يونيو 1939: إطلاق النار على مواطنين فلسطينيين اثنين في قرية لفتا شمال القدس.
- 3 تموز / يوليو 1939: مقتل مواطن عربي فلسطيني بتفجير قنبلة في سوق مدينة حيفا.
- 4 تموز / يوليو 1939: مقتل مواطنين فلسطينيين اثنين في هجومين منفصلين في القدس.
- 20 تموز / يوليو 1939: مقتل مواطن عربي فلسطيني في محطة قطار في يافا.
- 20 تموز / يوليو 1939: قتل 6 فلسطينيين في هجمات عدة قرب تل أبيب.
- 20 تموز / يوليو 1939: قتل 3 فلسطينيين قرب بلدة ريحوفوت.
- 27 آب / أغسطس 1939: مقتل ضابطين بريطانيين بانفجار لغم في القدس.
- شباط / فبراير 1944: ثلاث هجمات على مكاتب ضرائب الدخل في ثلاث مدن مختلفة.

- أواخر آذار / مارس 1944: هجوم متزامن على ثلاثة مقار للشرطة.
- 15 أيار / مايو 1944: هجوم على مقر الإذاعة في رام الله.
- 27 أيلول / سبتمبر 1944: ما يقارب 150 من عناصر منظمة إيتزيل شنوا هجوماً على عدد من مراكز للشرطة البريطانية أسفر عن عدد غير محدد من القتلى.
- 29 أيلول / سبتمبر 1944: اغتيال رئيس قسم الاستخبارات الجنائية في الشرطة البريطانية في مدينة القدس.
- 6 تشرين الثاني / نوفمبر 1944: اغتيال الوزير البريطاني اللورد موين في القاهرة.
- 22 تموز / يوليو 1946: تفجير فندق الملك داوود في القدس، إذ قامت القوات البريطانية في 29 حزيران/ يونيو بتفتيش مقر الوكالة اليهودية ووجدت وثائق تثبت ضلوع الوكالة ومنظماتها في أعمال إرهابية. صادرت سلطات الانتداب هذه الوثائق وأرسلتها إلى مكاتب مقر سكرتارية حكومة سلطة الانتداب البريطانية في الجناح الجنوبي من فندق الملك داوود. اتفقت كل من منظمة الهاغانا وإيتزيل وليحي/ شتيرن على تنفيذ عملية إرهابية مشتركة يستهدفون من خلالها تفجير فندق الملك داود والوثائق المحفوظة فيه. وقد كانت العملية من القوة بحيث أسفرت عن مقتل 91 شخصا منهم 41 عربيًا و28 بريطانيًا و 17 من اليهود واثنين من الأرمن، وروسي ويوناني ومصري.
- 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1946: تفجير سفارة بريطانيا في روما.

- 29 أيلول/ سبتمبر 1947: تفجير مركز للشرطة في حيفا ذهب ضحيته 10 قتلى.
- 20 حزيران/ يونيو 1947: استشهد 78 عربياً وجرح 24 آخرون أثناء انفجار قنبلة في سوق الخضار في مدينة حيفا، وكانت هذه القنبلة قد وضعت داخل أحد صناديق الخضار المموهة في عملية مشتركة لتنظيمى إيتزيل وليحي.
- 13 كانون الأول/ ديسمبر 1947: في يوم السبت - وكان جيش الانتداب البريطاني ما يزال يسيطر على فلسطين - نفذ تنظيم إيتزيل هجوما على قرية العباسية وهي قرية عربية فلسطينية تبعد عن مدينة يافا 13 كيلو متراً شرقاً. بلغ عدد سكانها عام 1945 (5650) نسمة. مساحتها (101) ألف متر مربع. ومساحة أراضيها (20540) مترًا مربعًا. وكان المهاجمون متنكرين في زي جنود بريطانيين، وقد أطلقوا النار على العباسية وفجروا عدداً من منازل القرية، وأطلقوا النيران على عدد من السكان الذين كانوا يجلسون أمام مقهى القرية، ووضعوا مجموعة من القنابل الموقوتة، وزرعوا العبوات الناسفة في عدد من المنازل. ووصل إلى المكان العديد من جنود الاحتلال البريطاني، لكنهم لم يتدخلوا، بل قاموا بتطويق العباسية تطويقاً جزئياً، وتركوا للمهاجمين طريقاً للهرب من الجهة الشمالية. وكان عدد المهاجمين الإسرائيليين أربعة وعشرين. بلغ عدد ضحايا هذه المجزرة 7 وأصيب سبعة آخرون بجراح خطيرة توفي اثنان منهم لاحقاً، وكان بينهم طفل

في الخامسة من عمره، وأمه في العشرين من عمرها وأصيب خمسة نتيجة لانفجار العبوات الموقوتة، في الأيام التي تلت المجزرة.

- 18 كانون الأول/ ديسمبر 1947: بعد قرار التقسيم 29/ 11/ 1947، بينما كان خمسة من العمال العرب في طريقهم إلى أعمالهم، قام ثلاثة من الإسرائيليين من مستوطنة "معيان باروخ" بإطلاق النار على هؤلاء العمال العرب، فردّ العمال بطعن أحد المهاجمين بسكين أدت إلى وفاته، ومع انتشار خبر مقتل هذا الإسرائيلي، تلقى قائد كتيبة البالماح ("القوة الضاربة" وهي الوحدات الخاصة في الهاغانا وقد أنشئت عام 1941) الثالثة التي كانت ترابط في منطقة "عتليت" خبر الحادث، فأسرع "موشيه كلمان" مساعد قائد الكتيبة إلى موقع الحادث، ثم طلب مولا كوهين قائد كتيبة البالماح القيام بعملية انتقامية ضد قرية تسمى الخصاص، "لأن اغتيال شخص إسرائيلي يعد إباحة للدم الإسرائيلي"، على الرغم من أن التهمة الموجهة إلى سكان الخصاص لم تثبت على أن أهالي الخصاص هم الذين قاموا بالعمل. وتقرر مهاجمة قرية الخصاص العربية الفلسطينية، وتقع في الجزء الشمالي من سهل الحولة. كان عدد سكانها عام 1945م (470) نسمة، وكان منهم "عرب الفضل" وأميرهم الأمير فاعور، وقام موشيه كرمل قائد لواء "لبانوني" بتسليم قيادة الكتيبة الثالثة أمراً من قسم العمليات في رئاسة الأركان، يقضي بالقيام بعملية انتقامية تهدف إلى حرق المنازل وقتل الرجال في الخصاص. ونفذت العملية في 18/ 12/ 1947م، وقام بالتنفيذ سريتان من تلك الكتيبة. وتضمن تقرير قائد القوة المنفذة ما يفيد أنها قتلت 12 شخصاً من الخصاص العرب بينهم عدد من النساء

والأطفال. ولكن اتضح فيما بعد أن جميع الشهداء كانوا من النساء والأطفال، لأن الرجال كانوا قد غادروا القرية قبل تنفيذ المجزرة بوقت قصير. وتقول بعض المصادر الإسرائيلية: بلغ عدد القتلى 10، منهم 5 أطفال، وبعض الضحايا دفنوا تحت أنقاض منازلهم.

- 29 كانون الأول/ ديسمبر 1947: ألقى أعضاء تنظيم إيتزيل برميلاً مملوءاً بالمتفجرات، عند "باب العمود" في القدس، مما أدى إلى استشهاد 13 عربياً وجرح 27 آخرين.

- 30 كانون الأول/ ديسمبر 1947: ألقى أعضاء تنظيم إيتزيل قنبلة من سيارة مسرعة في القدس انفجرت فقتلت 11 عربياً.

- 31 كانون الأول/ ديسمبر 1947، 1 كانون الثاني / يناير 1948: في ليل 31 كانون الأول / ديسمبر عام 1947 (أي في عيد رأس السنة الميلادية) و1 كانون الثاني/ يناير عام 1948م، قامت قوة مشتركة مؤلفة من الكتيبة الأولى من البالماح ومن لواء "كرميلي" يقودها حاييم أفينوعم بالهجوم على قرية بلد الشيخ وقد بلغ عدد ضحايا هذه المجزرة وفق المصادر الإسرائيلية 60 فلسطينيا. أما مراسل نيويورك تايمز فقد كتب تقريراً عن هذا الهجوم بتاريخ 7/ 1/ 1948م جاء فيه: "في ليل 31 ديسمبر سنة 1947م و 1 يناير 1948م، شن الهاغانا هجوماً على بلد الشيخ، وزعم أن ذلك انتقام لمقتل اليهود في الاشتباكات التي وقعت في مصفاة النفط "الريفاينري""، ويضيف مراسل النيويورك تايمز: "فيما كانت مجموعة متنكرين بكوفيات بيضاء عربية تطلق النار للتغطية من التلال المشرفة على القرية، دخلت مجموعة أخرى

أكبر منها بكثير إلى أطراف القرية وهاجمت عدة منازل بالقنابل اليدوية والرشاشات، فقتلت العديد من المدنيين العزل. معظم الشهداء في هذه المجزرة كانوا من العمال العرب الذين كانوا يعملون في مصفاة النفط: "الريفاينري" القريبة من بلد الشيخ، وكان هؤلاء العمال من قرى مختلفة، وكانوا يقيمون في منطقة "حواسة"، وحواسة هذه هي جزء من أراضي بلد الشيخ، وكانت حوّاسة مبنية بأكواخ من الصفيح".

- 4 كانون الثاني / يناير 1948: ألقى تنظيم "شتيرن" الإسرائيلي، قنبلة على ساحة مزدحمة بالناس في مدينة يافا فقتلت 15 شخصاً، وأصابت 98 آخرين بجراح.

- 4 كانون الثاني / يناير 1948: وضع تنظيم ايتزيل سيارة مملوءة بالمتفجرات بجانب "السرايا القديمة" في مدينة يافا فهدمتها وما جاورها، فاستشهد نتيجة ذلك 30 عربياً، وجرح آخرون، وكان من بين الضحايا عدد غير قليل من شباب يافا المثقف.

- 5 كانون الثاني / يناير 1948: نسف تنظيم الهاغانا بالمتفجرات فندق "سميراميس" الكائن في حي "القطمون" العربي في مدينة القدس، فتهدم الفندق على من فيه من النزلاء وكلهم عرب، مات منهم 19، وجرح أكثر من 20 آخرين. وبعد هذه المجزرة بدأ سكان حي القطمون بالنزوح نظراً لقربه من الأحياء الإسرائيلية.

- 7 كانون الثاني / يناير 1948: ألقى أعضاء في تنظيم إيتزيل قنبلة على "بوابة يافا" في مدينة القدس، فقتلت 18 مواطناً عربياً، وجرحت 41 آخرين.

- 8 كانون الثاني / يناير 1948: السرايا العربية بناية شامخة، تقع في مقابل "ساعة يافا" المعروفة، وكانت البناية تضم مقر اللجنة القومية العربية في يافا، وقد قامت التنظيمات الصهيونية بوضع سيارة ملغومة أدى انفجارها إلى استشهاد 70 عربياً، إضافة إلى عشرات الجرحى. وقد أوردت مجلة الجيش الإسرائيلي "بماحانيه" في عددها الصادر بتاريخ 4/ 1/ 1978م تفاصيل تنفيذ هذه المجزرة، وذلك على لسان الإسرائيلي رحيم حكموب منفذ تلك المجزرة.

- 16 كانون الثاني / يناير 1948: دخل صهاينة متخفون بلباس جنود بريطانيين، مخزناً بقرب "عمارة المغربي" في شارع "صلاح الدين" في مدينة حيفا بحجة التفتيش، ووضعوا قنبلة موقوتة أدى انفجارها إلى تهديم العمارة وما جاورها، واستشهد نتيجة ذلك 31 من الرجال والنساء والأطفال وجرح عدد غير معروف.

- 22 كانون الثاني / يناير 1948: وجه قائد عمليات منظمة الهاغانا الإسرائيلية إيغال يادين أمراً إلى قائد البالماح إيغال آلون قال فيه: "عليك القيام بأسرع وقت ممكن وبدون أية أوامر أخرى، بعملية ضد قرية يازور (وهي قرية عربية فلسطينية، على بعد 5 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا كان عدد سكانها عام 1945م (4030) نسمة) ويجب أن يكون الهدف إزعاج القرية فترة طويلة، عن طريق القيام بعمليات تسلل إلى داخلها وإحراق عدد من المنازل، وإنني أمنحك صلاحية اختيار أسلوب العمل". وبعد ساعتين من تلقي هذا الأمر، قامت مجموعة تابعة لـ "البالماح" بمهاجمة سيارة باص قرب يازور، فأصيب

نتيجة هذا الهجوم سائق الباص وعدد من الركاب العرب، وفي اليوم نفسه هاجمت مجموعة أخرى حافلة باص ثانية وأوقعت فيه عدداً من الشهداء والجرحى، واستمرت هجمات البالماح ولواء "جفعاتي" على قرية يازور والسيارات العربية المتجهة إليها، عشرين يوماً متواصلاً كما قامت وحدات أخرى بتفجير العبوات الناسفة قرب المنازل. وفي 22 كانون الثاني / يناير 1948 قررت قيادة "الهاغانا" مهاجمة قرية يازور ونسف مصنع الثلج وبنايتين مجاورتين له.. وأسندت مهمة التخطيط لهذه العملية إلى ضابط عمليات "البالماح" إسحاق رابين وكان مسؤول شعبة التدريب آنذاك العميد "يسرائيل طال"، وتقرر البدء في الهجوم مع بزوغ الفجر، وفي الليل تم جمع الذين سيشاركون في تنفيذ العملية، في مستوطنة "مكفي يسرائيل"، ووصلت كيبوتس "خلدا" مجموعة بقيادة "يهو شواع نبو"، ووصل "أمنون جنسكي" مع مجموعة من خبراء المتفجرات العاملين في قيادة "البالماح"، وتم إحضار الأسلحة والذخيرة اللازمة، وانطلقت القوات المعادية إلى قرية يازور عبر بيارات البرتقال. قامت مجموعة "يسرائيل طال" بإطلاق النار على مصنع الثلج في القرية، كما قامت المجموعات الأخرى بإطلاق النار والقنابل اليدوية على البيوت أما مجموعة "يهو شواع نبو" فقد قامت بتفجير بوابة مبنى "اسكندروني" ومبنى معمل الثلج. أسفرت هذه المجزرة عن سقوط 15 شخصاً مات معظمهم وهم نيام.

- 28 كانون الثاني / يناير 1948: دحرج مجموعة من الإسرائيليين من حي "الهادار" المرتفع، على "شارع عباس" العربي في مدينة حيفا في

أسفل المنحدر، برميلاً مملوءاً بالمتفجرات، فهدم البيوت على من فيها، واستشهد 20 مواطناً عربياً وجرح حوالي 50 آخرين.

- 10 شباط/ فبراير 1948: أوقف فريق من الإسرائيليين عدداً من المواطنين العرب العائدين إلى قرية "طيرة طولكرم" وأطلقوا عليهم النار، فقتلوا منهم سبعة وأصابوا خمسة آخرين بجراح. والطيرة قرية عربية فلسطينية في قضاء طولكرم. كان عدد سكانها (3180) نسمة عام 1945م. ومساحتها 96 ألف متر مربع ومساحة أراضيها (31359) مترًا مربعًا.

- 14 شباط/ فبراير 1948: هاجمت قوة من كتيبة البالماح الثالثة التابعة للهاغانا قرية "سعسع" (وهي قرية عربية فلسطينية على بعد 20 كم من مدينة صفد كان عدد سكانها عام 1945م (1130) نسمة) ودمرت عشرين منزلاً فوق رؤوس أصحابها، بالرغم من أن أهل القرية قد رفعوا الأعلام البيضاء وقدموا للجيش "ذبيحة". وكانت حصيلة هذه المجزرة استشهاد حوالي 60 من أهالي القرية، معظمهم من النساء والأطفال. وقد نشرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" في 14/ 4/ 1972 حديثاً لموشيه كولمان قائد "لواء يفتاح" الذي نفذ هذه المجزرة وقال كولمان: "خرجنا إلى العمل ليلة 14/ فبراير/ 1948 في منطقة عربية خالصة، وكان الهدف يبعد 25 كم عن قاعدتنا، وكنت أقود 68 شخصاً مسلحين بأسلحة خفيفة ومواد ناسفة، تسللنا إلى القرية من الشمال لاختراقها بصورة مفاجئة، ووضعنا 35

رزمة ناسفة، وانسحبنا تحت ستار الليل، وقد أصيب عدد من النساء والأطفال خلال العملية".

- 20 شباط/ فبراير 1948: سرق تنظيم شتيرن/ ليحي سيارة جيش بريطانية، و ملأها بالمتفجرات، ثم وضعها أمام بناية السلام في مدينة القدس، وعند الانفجار استشهد 14عربياً وجرح 26 آخرون.
- 13 آذار / مارس 1948: هاجم تنظيم الهاغانا الإسرائيلي، قرية "الحسينية" وهي قرية عربية فلسطينية في قضاء صفد فهدمت بيوتها بالمتفجرات، فاستشهد أكثر من 30 من أهلها.
- 31 آذار / مارس 1948: نسف الهاغانا قطار "حيفا يافا" أثناء مروره بالقرب من "ناتانيا"، فاستشهد جراء ذلك 25 شخصاً. 31 آذار / مارس 1948: لغم تنظيم شتيرن/ ليحي قطار "القاهرة حيفا" السريع، فاستشهد عند الانفجار 40 شخصاً وجرح 60 آخرون.
- 9 نيسان/ أبريل 1948: إيتزيل وشتيرن ترتكبان مذبحة دير ياسين – 360 قتيلاً. (كتب الكثير عن هذه المذبحة البشعة).
- 12 نيسان / أبريل 1948: هاجمت قوة من البالماح الإسرائيلية، قرية "قالونيا" (وهي قرية عربية فلسطينية، تبعد عن مدينة القدس بحوالي 7كم. كان عدد سكانها 910 أشخاص. مساحتها 72 ألف متر مربع) فنسفت عدداً من بيوتها، فاستشهد جراء ذلك 14 شخصاً – على الأقل – من أهلها.

- 13 نيسـان/ أبريل 1948: هاجم تنظيم الهاغانـا قرية "اللجون" وقتل 13 شـخصاً (اللجـون قريـة عربيـة فلسـطينية من قرى قضـاء جنين وتبعـد عن جنـين حوالي 18 كم كان عدد سـكانها 1103 أشـخاص عام 1940م)
- 19 نيسـان/ أبريل 1948: نسـفت التنظيـمات الصهيونيـة أحـد منازل مدينة طبرية فقتلت 14 شخصاً من سكانه.
- 22 نيسـان/ أبريل 1948: هاجمـت الجماعات المسـلحة الصهيونية بعد منتصـف الليـل، مدينة حيفـا من "هـدار الكرمل"، فاحتلـوا البيوت والشـوارع والمباني العامـة، وقتلوا 50 عربياً، وجرحـوا 200 آخرين وقـد فوجـئ العـرب فأخرجـوا نسـاءهم وأطفالهـم إلى منطقـة الميناء لنقلهـم إلى مدينـة عكا، وفي أثنـاء هربهم هاجمتهم المواقـع الإسرائيلية الأمامية فمات وجرح عدد كبير من المدنيين قدر بحوالي 250 شخصا.
- 14 أيـار / مايـو 1948: قـام جنـود إسرائيليـون مـن لـواء جفعـاتي بمحاصرة قرية أبو شوشـة (وهي قرية عربية فلسطينية على بعد حوالي خمسة أميال للجنوب الشرقي من مدينة الرملة كان عدد سكانها 870 نسـمة ومسـاحتها 24 ألـف متر مربـع) من كافـة اتجاهاتها عنـد أذان الفجـر، ثم قامـوا بإمطـار القرية بزخـات الرصاص وقنابـل المورتر، وتركز القصف على المنطقة الشـمالية حيث كانت إسـتراتيجية بالنسـبة للعـرب. ونجح الإسرائيليـون في دخول القرية وكانـوا يطلقون النار باتجـاه كل شيء يتحرك، في حين اختبأت النسـاء في ثلاثة أنفاق وبقين مختبئات طيلة أسـبوع كامل. وقد ضربت رؤوس العديد من الضحايا

بالبلطات وقد شكلت النساء لجنة ضمت خمساً منهن قمن بدفن الضحايا البالغ عددهم 60 شهيدًا عربيًا فلسطينيًا تم توثيق أسمائهم في دراسة حول هذه المجزرة قام بها مؤخراً باحثون في مركز أبحاث جامعة "بيرزيت". وقد تم استخدام الخنادق والأنفاق كمقابر جماعية. وهذه المجزرة لم تكن معروفة لأحد من قبل. وانتهت المجزرة بترحيل كل سكان القرية من منازلهم، ثم جرى هدمها على مراحل.

- 22 حزيران/ يونيو 1948: خيّر الضباط الإسرائيليون أهالي مدينة الرملة بين النزوح من المدينة أو السجن الجماعي، وكان ذلك بمثابة خدعة تمكنوا خلالها من قتل الكثيرين من أهالي المدينة، وقد ألقيت جثث الضحايا على الطريق العام "الرملة/ اللد"، ولم يبق في مدينة الرملة بعد هذه المجزرة سوى 25 عائلة.

- 9 تموز/ يوليو 1948: تقدمت قوة من لواء يفتاح الإسرائيلي، وانقسمت إلى قسمين: أحدهما توجه نحو الجنوب واحتل قرية "عنابة" ثم احتلت قرية "جمزو" (وهي قرية عربية فلسطينية تبعد عن مدينة الرملة 5 كم إلى جهة الشرق كان عدد سكانها عام 1947 (1940) نسمة. ومساحة القرية 50 ألف متر مربع ومساحة أراضيها 9681 مترًا مربعًا) بعد ذلك بقليل، وطردوا أهلها، وكانوا يطلقون النار عليهم وهم هاربون، فاستشهد منهم 10 أشخاص، وفيما يلي أسماء تسعة منهم:

1ـ حامد عبد النبي الفار.

2ـ ذياب عبد الحفيظ الشايب.

3ـ حسن عبد الرحيم الحبش.

4ـ عبد الله يحيى عبد القادر.

5ـ عارف حسن الزق.

6ـ عبد الرحمن أحمد خليل.

7ـ صبحية أحمد الدبشة.

8ـ عايشة عبد الرحمن محمد.

9ـ نزيرة أحمد خليل الدبشة.

- 11-12 تموز/ يوليو 1948: دخلت قوة من الجيش الإسرائيلي مدينة اللد، وكان يقود هذه القوة موشي دايان الذي أصدر أوامره بإطلاق النار على أي شخص يُرى في الشارع، ففتحت قوات يفتاح وهي لواء من البالماح نارًا غزيرة على المارة، متنقلة من بيت إلى بيت، ومطلقة النار على كل هدف. وتجمع الكثير من أهل اللد في مسجد وكنيسة المدينة، فهاجمهم الإسرائيليون وأطلقوا عليهم النيران، فكانت حصيلة هذه المجزرة البشعة 250 شهيداً، غير الجرحى وشهدت اللد مجزرة أخرى يوم قتل الإسرائيليون 350 من أبنائها أثناء طرد سكان المدينة وإرغامهم على مغادرتها سيراً على الأقدام.
- 17 أيلول/ سبتمبر 1948: اغتيال الكونت فولكه برنادوت وسيط هيئة الامم المتحدة إلى فلسطين. قامت ليحي/ شتيرن بالعملية.

- 29 تشرين الأول / أكتوبر 1948: هاجمت "الكتيبة 89" قرية "الدوايمة" (وهي قرية عربية فلسطينية على بعد 24 كيلومتراً غرب مدينة الخليل. كان عدد سكانها عام 1945م (3710) أشخاص). وقد ظلت تفاصيل هذه المجزرة طي الكتمان، إلى أن كشفت عنها لأول مرة مراسلة صحيفة "حداشوت" الإسرائيلي خلال شهر سبتمبر عام 1984. بدأت عملية إطلاق النار وتفتيش المنازل منزلاً منزلاً ثم نسفوا بيت المختار. وفي الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم 29/ 10/ 1948، مرت المصفحات الإسرائيلية بالقرب من "مسجد الدراويش" في القرية، وكان في داخله حوالي 75 مسناً يستعدون لأداء الصلاة، فقام الإسرائيليون بقتلهم جميعاً بالمدافع الرشاشة. وفي ساعات بعد الظهر اكتشفت القوات المهاجمة المغارة الكبيرة "طور الزاغ" التي اختبأ في داخلها ما يزيد عن 35 عائلة، فأطلقت عليهم النيران وحصدوا جميعاً. وفي ساعات الليل تسلل بعض سكان القرية إلى منازلهم ليأخذوا بعض الطعام والملابس، بينما عمد الإسرائيليون إلى قتل كل من يضبط عائداً إلى القرية. وقد تم جمع جثث الضحايا التي بلغت 580 شهيداً من الشيوخ والأطفال والنساء والرجال. وكان العديد من الضحايا من أبناء القرى المجاورة الذين كانوا قد لجؤوا إلى قرية "الدوايمة" بعد سقوط قراهم في أيدي الإسرائيليين. وقد أبيدت بعض الأسر، منها أسرة "محمود العامري" وأسرة "إبراهيم جودة العامري"، وأجبر الأسرى على حمل جثث الضحايا وإلقائها في آبار مهجورة. وفي سوق القرية قتل الإسرائيليون عدة أشخاص ثم جمعوا جثثهم وأضرموا فيها النيران حتى تفحمت.

وقد وصف أحد الجنود الذين نفذوا هذه المجزرة، ما شاهده بقوله: "لقد قتل ما بين 80 – 100 عربي من الذكور والنساء والأطفال، وقتل الأطفال بتهشيم رؤوسهم بالعصي، ولم يكن ثمة منزل بلا قتلى، وقد أمر أحد الضباط بوضع امرأتين عجوزين في بيت، وفجر البيت على رأسيهما". ويتباهى أحد الجنود القتلة بأنه اغتصب امرأة من قرية "الدوايمة" ثم أطلق النار عليها.. وقد استخدمت إحدى نساء القرية وعلى يديها طفل رضيع، في تنظيف المكان حيث كان الجنود يأكلون، وفي نهاية الأمر أطلقوا عليها النار وعلى طفلها الرضيع فقتلوهما.

- 30 تشرين الأول/ أكتوبر 1948: احتلت فرقة "كرميلي" في الجيش الإسرائيلي، قرية الحولة بدون مقاومة، وكان القائم بأعمال آمر الفرقة هو شلومو لهيس. قام شلومو بجمع حوالي 70 مواطناً من الذين ظلوا في القرية، في إحدى الساحات، ثم قام شلومو مع ضابط آخر في اليوم التالي، بقتل كل هؤلاء، ثم فجروا البيوت.. وقُدِّم شلومو لهيس إلى المحاكمة، لكنه قبل أن يدخل السجن، تسلم كتاباً من رئيس الدولة بالإفراج عنه.

- 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1948: ألقت القوات الإسرائيلية القبض على شباب المواسي (عرب المواسي إحدى القبائل العربية الفلسطينية كانت منازلهم تنتشر في كل من قضاء عكا وقضاء طبرية وقضاء صفد، بتهمة تعاونهم مع جيش الإنقاذ، وكان عدد هؤلاء الشباب 16 شاباً وجمعتهم في منطقة "مميليا" ثم سيقوا إلى أراضي "عيلبون"، وقتلوا هناك، ثم نُقلت جثثهم إلى حفرة "بيت ناطف" ووضعوا فيها بشكل جماعي.

وكان من بينهم رجل أصيب بعدة طلقات في جسـمه، وتظاهر بالموت واسـمه "أبو سـودي"، وبعد ذهاب الجنود تقدمت إحدى البدويات واسـمها "زهية القواز" لترى ماذا حـدث، فوجدت هذا الرجل "أبو سـودي" مازال يتحرك، فحملته وأسـعفته إلى أن تماثل للشفاء، فغادر البـلاد ناجياً بحياته، أما الشـهداء فقد نقلهم المواسي إلى مقبرة المواسي في "عيلبون"، وهم:

1ـ عطية حمود ارشيد.

2 أحمد حسن النادر.

3ـ باير حسن طه.

4ـ مقبل عطية ارشيد.

5ـ نايف أسعد عيسات.

6ـ حسين قاسم وحش.

7ـ سعيد محمد قاسم.

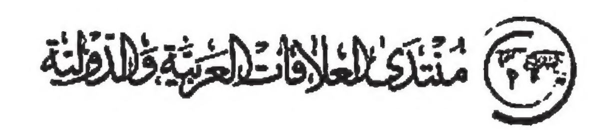
8ـ أسعد محمد قاسم.

9ـ محمد عطية حسين إبراهيم حمد.

12ـ صالح عبد الله ارشيد.

13ـ خالد عبده النادر.

14ـ محمد حسين النادر.


منتدى العلاقات العربية والدولية